
القادة الأبرار
الإمام الحسين بن علي (ع)



الإمام الحسين بن علي (ع)

القَادَة الأبْرَار

الإمَام الحُسيْن بن عَليّ (ع)

الدار الاسلامية

الطبعة الثانية
١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م



كورنيش المزرعة / بناية الحسن سنتر / الطابق الثاني
هاتف ٨١٦٦٢٧ / ص . ب : ١٤٥٦٨ تلكس ٢٣٢١٢ - غدير
فرع ثاني / حارة حريك مفرق الحلباوي / هاتف ٨٣٥٦٧٠

القادة الأبرار

الإمام الحسين (ع)

الاسم : الإمام الحسين (ع)
اسم الأب: الإمام علي (ع)
اسم الأم: فاطمة الزهراء (ع)
تاريخ الولادة: ٣ شعبان السنة الرابعة للهجرة
محل الولادة: المدينة
تاريخ الاستشهاد: ١٠ محرم السنة ٦١ للهجرة
محل الاستشهاد: كربلاء
محل الدفن: كربلاء

بِاسمِهِ تَعَالَى

الوَليدُ المُبارَكُ

في اليـومِ الثّالثِ منْ شعبَـانَ، مِنَ السَّنةِ الـرّابعـةِ للهجرةِ، رُزِقتْ فاطمـةُ الزَّهـراءُ عَليها السَّـلامُ وَليدَهـا الثّانيَ العَظيمَ.

قامتْ «أَسماءُ» إِحدى رَفِيقَاتِ فَاطمةَ عليها السَّلامُ بِلفِّ الـوَليـدِ الصَّغيـرِ بِقـطعـةٍ نَظيفَـةٍ منَ القُماشِ الأَبيضِ ، وَتقـدَّمتْ بِهِ نحـوَ الرَّسُـولِ صلّى اللّهُ عليـهِ وآلِهِ، فَتَناولهُ مِنها واحْتَضَنهُ، وجعلَ يُـوسِعُهُ تَقبيـلاً، ثُمَّ ضَمَّهُ إلى صدرِهِ الشَّـريفِ، وتَلا في مَسـامِعِه اسْمَ اللّهِ وكـلمــةَ لا إِلــهَ إلاّ الـلّهُ، وَأَذَّنَ وأقــامَ، ثــم أَســمــاهُ «حُسَيناً».

طَفِقَ الرَّسولُ صلّى اللّهُ عليهِ وآلِهِ. يَـرمُقُ الحُسينَ وهُوَ على صدرِهِ، ثُمَّ ضَغَطَ عليهِ برفقٍ وحَنـانٍ، وشَفَتاهُ تتحـرَّكـانِ بـأَقْـوالٍ مُبْهَمـةٍ، ثُمّ بـدأَ يَتَحَسَّسُ أَطـرافَـهُ بمُـداراةٍ شَديـدَةٍ، وقَدْ شَمِلَهُ بِنـظرةٍ مِلؤُها الحُـزنُ، ثُمَّ غَلبَهُ البُكاءُ.

عَجِبتْ أسماءُ لِما رَأتْـهُ وقالتْ: فِـداكَ أَبي وأُمّي، مِمَّ بكـاؤُكَ؟! فَـأجـابَهـا وقـدْ غَـامَتْ عينـاهُ: «منْ ابْني هَـذا»، فَملَكَتْهـا الحَيْـرةُ، ولمْ تُـدركْ مَغـزَى قَـوْلِـه، فقـالتْ: إِنَّه وُلِـدَ السّاعَـةَ! فأجـابَهـا بِصـوتٍ مُتَقَـطِّع: «تَقتُلُه الفِئَةُ الباغِيةُ بَعدِي، لا أنَالَهُمْ اللّهُ شَفاعَتي..». ثُمَّ نهضَ وهُوَ مُثقَلٌ بِالهَمِّ وقالَ لَها: «لا تُخبِري فَـاطمةَ فإِنَّها حَديثةُ عَهدٍ بِوِلادَةٍ..».

وَتَولّى النبيُّ (ص) بنفسِهِ رِعايةَ الحُسينِ. واهْتَمَّ بِهِ اهْتمـاماً بَـالِغاً. وَقـد اسْتَشَفَّ صلّى اللّهُ عليهِ وآلـهِ منْ وراءِ الغَيبِ كُلَّ ما سَيجـري لِولَـدِهِ الحُسينِ (ع) وعَرفَ أنَّ اللهَ سُبحـانَـهُ قـدْ اخْتـارَهُ لِيحفَظَ بـهِ أَنـوارَ الإِيمـانِ مُضيئَـةً مُشِعَّـةً، ويُـطفِئَ بـهِ وبِعـائِلتِـه شُعلةَ الكُفـرِ والنِّفـاقِ. وتلكَ نِعمةٌ مَنَّ اللّهِ بِهـا عَلى أهلِ بيتِ نَبيِّـهِ عَليهِمْ السَّلامُ، لَكِنَّ المُنافِقينَ لا يُؤمِنونَ.

بعدَ رَحيلِ الرّسولِ

هَلْ سَمِعتُمْ ماذا فعلَ الظّالمـونَ بِوصـايَا الـرَّسولِ صَلّى اللهُ عليهِ وآلهِ؟ إنَّهُمْ بعدَ أنْ سَمِعُوهـا منهُ ووَعَـوْا مـا يَرمي إليـه مِنْها، واسْتَقـرَّتْ في خَواطِرِهم، عَمِيت

عَنْها قُلوبُهمْ، فَنَقَضُوا عُهودَ اللّهِ ومَواثِيقهُ، وتَناسَوْا قَدْرَ أُسْرة النَّبيِّ المُطَهَّرةِ المهْدِيَّةِ، فَوضَعُوا مَصيرَ الإِسلام والمُسلمينَ بينَ أَيدِي أعداءِ الإِسلام، واخْتارُوا العَمى على البَصيرَةِ، والظُّلُماتِ عَلى النّورِ، «وَاسْتَحَبُّوا العَمى عَلَى الهُدَى».

فَلوْ أَنَّهُمْ استَجابُوا إلى أَوامِر اللّهِ ورَسُوله، إِذَنْ لَفُتِحتْ لهمْ أَبْوابُ النِّعَم، ولَنَالُوا القُوَّةَ والمَعرفَةَ. لكِنَّهم أَبَوْا فَظَلَمُوا أَنْفُسَهُم، وَفي ظِلِّ جَهْلِهِمْ ونَقْضِهِم للعُهودِ نَالَ الإِمامُ العَظيمُ عَليٌّ عليهِ السَّلامُ الشَّهادَةَ، بَينَمَا تربَّعَ مُعاويةُ على عرشِ الخِلافةِ! ومِنْ فوقِ هذا العرشِ أُشْهِرَتْ السُّيوفُ على رِقابِ المُسلمينَ، في مَجازِرَ شامِلَةٍ، وقُتِلَ الإِمام الحسنُ بالسُّمِ.

الحُسَينُ (ع) وَبَيْعَةُ يَزِيدَ

أَمّا الحُسينُ عليهِ السَّلامُ، فَقدْ احْترمَ الَّذي رَضِيَهُ أَخوهُ، فَلَمْ يُشْهِرْ سَيفاً في وجهِ مُعاويةَ طِيلةَ حَياتِه، لكنَّ مُعاويَةَ نَقضَ العهدَ والمِيثاقَ وسَلَّمَ خِلافةَ الإِسلام والمُسلمينَ إلى ابْنِهِ الفاجِر، الَّذي ما إنْ ماتَ أَبوهُ حَتّى أَصدَرَ أَوامِرَه إلى الوَليدِ، عامِله على المدينةِ،

كيْ يأخُذَ البيعـةَ لَهُ مِنَ الإمـامِ الحُسينِ، وَيدعـوَهُ إلى تقديمِ فُروضِ الطّاعَةِ!!

دَعَا الوليدُ الإمام في مُنتَصَفِ تِلكَ اللَّيلةِ وقالَ لهُ: يا حُسينُ آجرَكَ اللّهُ في مُعـاويَةَ، وليسَ هُنـاكَ اليومَ منْ أبنـاءِ رسـولِ اللّهِ غيـرُكَ، ولَستَ تجهَـلُ مقـامَـكَ بينَ النَّاسِ ، فعليكَ أن تُبـايعَ يَـزيدَ قبـلَ الجميعِ ، وتَسلُكَ مَسلَكَ الـوَفـاءِ، فَتكـونَ قُـدوةً للغيـرِ، فـأنتَ ابنُ بنتِ رَسـولِ هـذهِ الأُمَّـةِ، وعليـكَ أنْ تسعى لمـا فيـهِ خَيـرُ وصَلاحُ المسلمينَ!!

استمعَ الحُسينُ (ع) إلى الوليـدِ، وسرَحَ في بَحـرٍ منَ التَّفكيرِ والقَلقِ، وأدركَ أَنَّ كلَّ شَيءٍ قد انْتهَى، وأَنَّ يـزيدَ قـد صَمَّمَ على الشَّرِّ. لقـدْ صَمتَ الحُسينُ عَشْرَ سَنواتٍ منْ حُكمِ مُعاويـةَ. فلمْ يُحرِّكْ سـاكِنـاً، أُسـوَةً بـأخيـهِ الشَّهيـدِ، وَلكنْ. . . هَـلْ بمقـدورِه الصَّمتُ والسُّكوتُ على أَعمالِ يزيدَ؟! وهـلْ يَستطيـعُ أن يَبقى مُتفـرِّجاً على ظُلمـهِ وطُغيانِـه، فيُجيـزَ بـذلـكَ أعمـالَـهُ وشُـرورَهُ؟! في حين يُـدركُ عليـهِ السَّـلامُ أنَّ الأُمَّـةَ الإسـلامِيَّةَ كـانتْ تَرَقُبُ مـا سَيَفعلُه مع يَـزيدَ، لِأنَّ في مُبايعتِهِ لهُ إقراراً بمـا كانَ يَـرتكِبُهُ من مُنكَـرٍ. كانَ عليـهِ

السَّلامُ يُدرِكُ هذا وأكثرَ مِنْهُ. . فالتَفتَ إلى عامِلِ يـزيدَ وقـالَ: «إنَّ مِثلي لا يُبـايـع سِـرّاً. . فـإذا خـرجْتَ إلى النّاسِ ودَعوْتَهمْ للبيعَةِ، دَعوتَنا مَعهمْ. . .».

كَانَ الوليـدُ ـ كما يُقـالُ ـ مَيّالاً للمسـالمَةِ، فـوافَقَ على تـأجيـلِ الأمـرِ إلى الصَّبـاحِ، غيـرَ أن مَـروانَ بنَ الحكمِ ـ وكانَ حاضِراً مجلِسَهُما ـ صـاحَ بِالـوليدِ: لَئِنْ فـارَقَكَ السّـاعَةَ ولمْ يبُـايعْ، لا قَـدِرْتَ منـهُ على مثلِهـا أبَداً. . احْبِسْهُ، فإنْ بايَعَ وإلاّ ضَربْتَ عُنُقَهُ. فوثَبَ إليهِ الإمامُ عليهِ السَّلامُ قائلاً: «يا بْنَ الـزَّرقاءِ، أأنتَ تَقتُلُني أمْ هـوَ؟ كَذَبتَ واللّهِ وَلَؤُمْتَ». ثمَّ التفتَ إلى الـوَليـدِ فأخبَرَهُ عن عزمِه على رَفضِ البيعةِ ليزيـدَ قائـلاً: «أَيّها الأميرُ، إنّا أهلُ بيتِ النُّبوَّةِ، ومَعْدِنُ الرِّسـالَةِ، ومُختَلَفُ المـلائكةِ، ومَحـلُّ الرَّحمـةِ، بِنـا فتـحَ اللّهُ وبِنـا خَتَمَ، ويَـزيـدُ رَجـلٌ فـاسِقٌ، شـارِبُ خَمـرٍ، قـاتـلُ النَّفسِ المحَرَّمَةِ، مُعلِنٌ بـالفِسْقِ، ومِثلي لا يُبايـعُ مِثلَهُ، ولكنْ نُصبحُ وتُصبِحونَ، ونَرى وتَروْنَ».

التَّوجُّهُ إلى مَكَّةَ

في تِلكَ اللَّيلةِ عـزمَ الحُسينُ على مُغادَرةِ المَـدينةِ

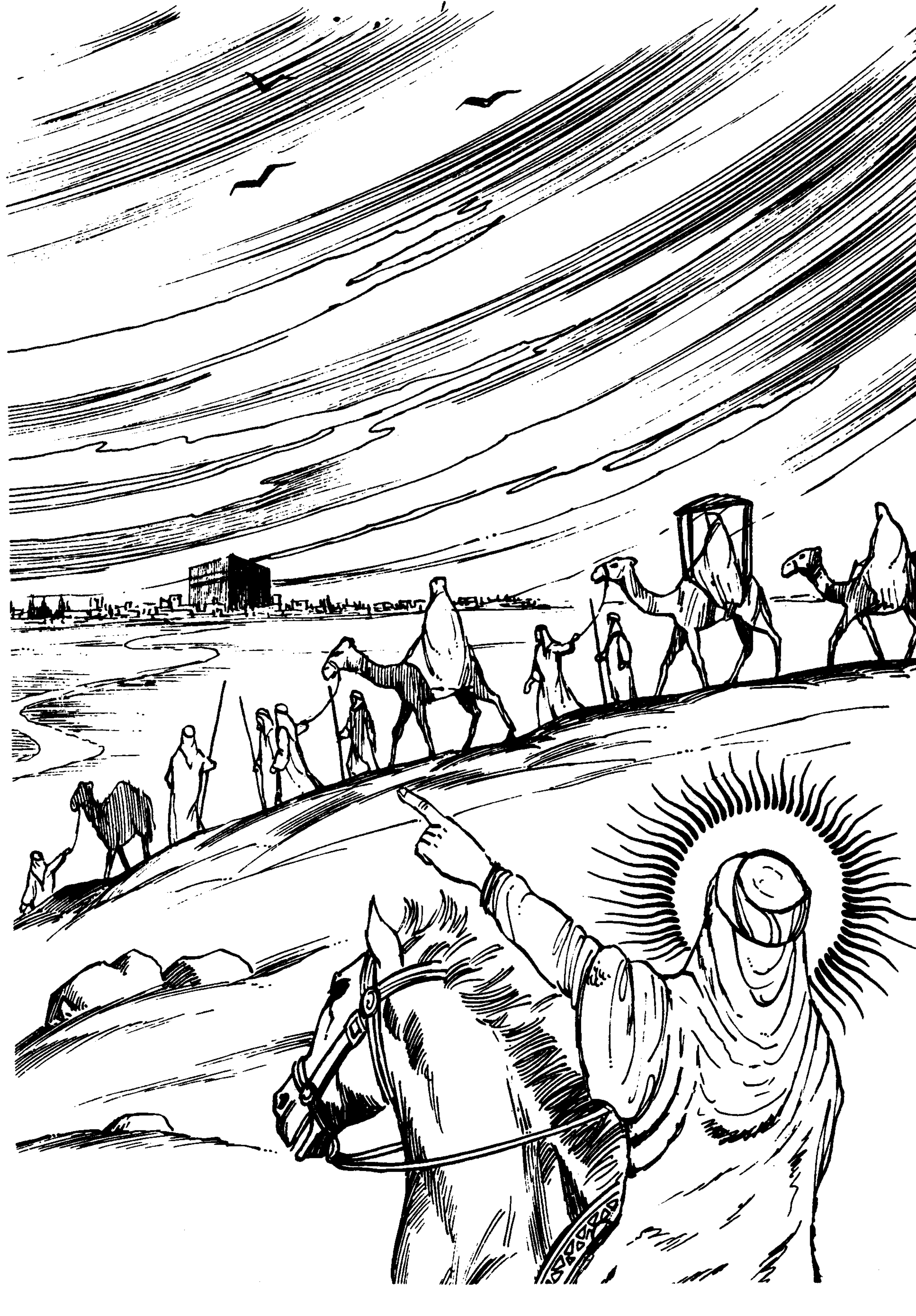
إلى مكَّةَ، ونَفَّذَ ما عزَمَ عليهِ دونَ إبطاءٍ، يُرافِقه أهلُهُ وأصحابُه الأقربُونَ، وابْتعَدُوا عنْ المدينةِ ما أَمكَنَهمْ ليكُونوا في مأمَنٍ منْ مُطاردَةِ أَعوانِ يَزيدَ، في هَذا السَّفرِ المحفُوفِ بالمَخاطِرِ.

أمَّا أهلُ المَدينةِ، والَّذينَ كانُوا قد عاهَدُوا الحُسينَ على النُّصْرةِ والحِمايةِ، فلَمْ يَبدُرْ عنهُمْ أيُّ تَحرُّكٍ في هذا الاتِّجاهِ، بَلْ لَجأَ أكثرُهُمْ إلى بُيوتِهم منَ الخوْفِ.

وصلت قافِلةُ الإمام إلى مَكَّةَ، حيثُ الأَمانُ أكثرُ، لأنَّ مكَّةَ بيتُ اللهِ، وأَرضَها حَرمُ اللهِ؛ والعربُ يَحترمُونَ بيتَ اللهِ ويُقَدِّسونَهُ منذُ القِدَمِ، فَلا يَقْتُلونَ لاجِئاً إلى الحَرَمِ، ويَمْتَنِعُونَ فيهِ عن الحَرْبِ والخِصَامِ.

لم يمضِ وَقتٌ طَويلٌ على وُصولِ الإمامِ إلى مكَّةَ، حتَّى وصَلَها جَواسيسُ يزيدَ، وكانتْ خُطَّتُهم التَّخلُّصَ منَ الإمامِ خِفيةً، ثُمَّ الادِّعاءَ بأنَّه قُتِلَ في نِزاعٍ مَحَلِّيٍّ بَسيطٍ.

بقيَ الحُسينُ (ع) في مكَّةَ ما أَمكَنَهُ ذلك، يُحذِّرُ النَّاسَ ويُنبِّهُهُمْ إلى الخَطَرِ الَّذي يُشكِّلُه حكمُ يَزيدَ على الإسلامِ، كما بعثَ بِرَسَائِلَ إلى رُؤساءِ القَبائلِ



يَدعوهُمْ إلى الجِهَـادِ والنُّصرةِ. حتّى إذا أحسَّ بـأعوانِ يزيدَ يُضيِّقونَ عليهِ الخِناقَ، اضْطُرَّ للتَّفكيرِ بتدبيرٍ آخَرَ.

الكُوفَةُ مَركزُ الأَحداثِ

كَـانَتْ الكـوفـةُ في ذلـكَ الـوقتِ، منـطَقَـةً آهِلةً بالسُّكّانِ، وكـانَ أهلُها مِمَّنْ عـايَشُوا عَليّـاً عليهِ السَّلامُ زَمناً ليسَ بالقصيرِ، وعَرَفُوا قَدْرَه ومكانَتَه، وكانَتْ كُوفـةُ تِلكَ الأَيّامِ أفضَلَ أرضٍ يُراعى فيها الإسلامُ، كما كانَ أهلُها على دِرَايةٍ واطِّلاعٍ، فهمْ يَعرِفونَ أهلَ البيتِ وفَضلَهُم، في حِينَ كانَ غَيرُهُم لا يَعـرِفونَ إلاَّ حـاكمَ مَدينَتِهمْ أو خطيبَ مَسجِدِهـا، والأمرُ لـديهم سِيَّانِ: حَكَمَ عَليٌّ أَمْ حكَمَ مُعاويةُ، نَصرُوا الحُسينَ أَمْ نَصَرُوا يَزيدَ.

في ضَـوءِ هـذا كُلِّه؛ أَرسَـلَ الإمـامُ ابنَ عمِّـهِ «مُسلمَ بْنَ عَقيـلٍ» إلى الكُوفَـةِ، لِيَعمـلَ على تحضيرِ أصحَابِهِ وشيعـةِ أبيهِ للعمَـلِ والجِهادِ، سِيَّمـا وأَنَّ أهلَ الكوفَةِ كـانُوا قـد بَعثُوا بـرَسَائـلَ كَثيرةٍ، يَـطلُبـونَ منـهُ القِيامَ، كَما يطلُبونَ منهُ قِيادَتَهم للجِهـاد. وكانَ الإمـامُ حينَهـا ينتَظِرُ مَـوتَ مُعاويـةَ، حتَّى يتَوجَّـهَ إلى الكوفَـةِ، ويُعلِنَ من هُناكَ إقامةَ الخِلافَةِ الإسلامِيَّةِ.

شَعَر يَزيدُ بالخَطَرِ حينَ سَمِعَ بالتفافِ أَهلِ الكُوفَـةِ حـولَ مُسلمٍ رَسولِ الحُسينِ، فَعيَّن الـطَّاغِيةَ ابنَ زِيـادٍ لِحكمِ الكُـوفةِ، وأوْصـاهُ بالبَـطْشِ والشِّـدَّةِ، وهُـوَ ابنٌ لامْرأةٍ مَعروفةٍ بِسوءِ السُّمعـةِ تُدعى مَـرجانَـة. كانَ ابنُ زيـادٍ رجُـلاً قـاسِيـاً مُتحجِّـرَ القَلبِ. كمـا كـانَ داهيـةً صَـاحِبَ حِيلَةٍ ومكْرٍ، وَرِثَ عن أَبيـهِ عداوَتَـهُ وبَغضَـاءَهُ لأهـلِ بيتِ الرَّسـولِ، إلى جَانبِ وضَـاعَةِ مَنبَتِـهِ وسوءِ خُلُقِهِ.

خَطَّطَ أهلُ الكوفةِ يَوماً لقتلِ ابنِ زيادٍ، فَدَعَاهُ أحدُ أعيـانِ المدينـةِ لزيَـارَتهِ في بيتـه. وكـانَ قَـد اتَّفَقَ مـع «مُسلمِ بنِ عَقيـلٍ» عَلَى أنْ يَخرُجَ فجـأةً إلى ابنِ زيادٍ فَيَنقَضَّ عَليــهِ ويَقْتُلَه، لكنَّ مُسلمـاً لم يفعــلْ، كيْ لا يُعـطِيَ ليزيـدَ عُـذراً، فيحتـجَّ بـأنَّ أَنصـارَ الحُسينِ همْ الَّـذينَ بدأُوا القِتـالَ. أمَّا ابنُ زيـادٍ فقد أحسَّ بـالخطرِ خِلالَ وُجودِه في هذا البيتِ، وبعدَ خُروجِهِ أصـدرَ أمراً بالقَبضِ على مُسلمٍ وأصحابِه، فسجَنَ بعضَهمْ، وقتلَ مُسلمـاً مـع صـاحبِ البيتِ هـانىءَ بنِ عُرْوَةَ، ثم أمـرَ بإغلاقِ مَداخِلِ المَدينةِ كي لا يَتَسَـرَّبَ منها أيُّ خَبَـرٍ، وكيْ لا يعلمَ الحُسينُ بقتلِ مُسلمٍ.



ولْنعدْ الآنَ إلى مَكَّةَ، حيثُ تركْنا الإمامَ الحُسينَ يتدبَّرُ أُمورَه، لِنَستَمِعَ إلى مَا جَرَى هُنَاكَ. فبعدَ أنْ أوفدَ الإمَامُ رَسولَهُ مُسلماً إلى الكوفةِ، اسْتَعدَّ للّحاقِ بهِ، كي يَسْتكْمِلَ منْ هناكَ ما عزَمَ عليهِ، ذَلكَ في حِينَ حاولَ جَماعةٌ من كِبارِ أهلِ مكّةَ أن يُقنِعوهُ بعدمِ الخُروجِ، قائلين لَهُ: أنتَ تعرفُ أهلَ الكُوفَةِ جيِّداً، وأَنَّهمْ خذَلُوا أباكَ، كما خَذَلُوا أخاكَ، وسيَخذُلونَك أنتَ أَيضاً، إنَّهمْ قومٌ ضِعافُ النُّفوسِ والإيمانِ، ولئنْ كانتْ أَلسِنتُهم معكَ، فإنَّ سُيوفَهمْ ستكونُ عَليكَ. ومنَ الأفضلِ أن تَصرِفَ النَّظَرَ عن سَفَرِكَ هذا. لكنَّ الإمامَ لم يَستجبْ لأقوالِهم. بل أصرَّ على الخُروجِ، إصرارَ صَاحبِ الرِّسالةِ على أداءِ رِسَالتِه، ولوْ كَانَ فيها الموتُ، أَلَا إنَّه الموتُ في سبيلِ اللهِ والحقِّ.

أحرَمَ الإمامُ عليهِ السَّلامُ للعُمرَةِ فطَافَ وسَعَى وقصَّرَ، وطافَ طوافَ النِّساءِ وأحلَّ من عُمرَتِهِ، دونَ أن يُتِمَّ حَجَّهُ، كي لا يُعطِيَ لأعوانِ يزيدَ فُرصةً لانْتِهَاكِ حُرمةِ المسجدِ الحرامِ، بِسفكِ دَمِهِ الطَّاهرِ فيهِ.



ثُمَّ توجَّه عليهِ السَّلامُ نحو العِراقِ، قاصِداً الكـوفَةَ مـع أهلِه وإخوانـهِ ونَفـرٍ من أصْحـابـهِ. خـرجَ دونَ أن يَصِلَهُ أيُّ خبـرٍ من الكُوفـةِ، لأنَّ ابنَ زِيـادٍ حـالَ ـ كمـا نعلَمُ ـ دونَ تَسـرُّبِ الأخبـارِ مِنهـا، كمـا أنَّـهُ زَرعَ جَواسيسَهُ في كُلِّ مكانٍ عَلى طولِ الطَّريقِ، كي يُنْبِئوهُ مُسبَقاً بِقُدومِ الحُسينِ.

أَرضُ الكَرْبِ وَالبَلاءِ

اقتـرَبَ الإمامُ منَ الكـوفةِ، لكنَّ أعـوانَ ابنِ زيـادٍ بِقيـادَةِ الحُـرِّ بنِ يَـزيـدَ الـرّيـاحِيِّ منَعـوهُ من التَّقـدُّمِ، واضْـطُرُّوهُ للنُّزولِ في أرضٍ جـافَّـةٍ مُحـرِقَـةٍ تُـدعى كَربلاءَ، وحينَ سَمعَ باسْمِها سَرحَ في تفكيـرٍ عَميقٍ ثم قالَ: «هذا مَوْضعُ كَـربٍ وبَلاءٍ، هَـا هُنا مَنـاخُ رِكابِنـا، ومَحَطُّ رِحَـالِنـا، وسَفْـكُ دِمـائِنـا..». ثمَّ أمـرَ بنصبِ الخيامِ.

حينَ عَلِمَ ابنُ زيـادٍ بِنزُولِ الحُسينِ عليـهِ السَّـلامُ في أرضِ كَربلاءَ؛ شَرَعَ في تنفيذِ خُـطَّةٍ لَئيمةٍ مـاكرةٍ؛ جَمَـعَ النَّاسَ في مسجـدِ الكُوفـةِ الأعظمِ، وقـامَ فيهمْ خَـطيباً، فعـدَّدَ لهمْ «حَسناتِ» حكمِ يَـزيدَ، وأنَّـه أمَرَهُ



بتوفيرِ الأموالِ والأرزاقِ لهمْ، إنْ همْ خَرجـوا إلى قِتالِ الحُسينِ، ولم ينسَ أن يتـوعَّـدَ من لا يستَجيبـونَ لـهُ، وَيُهدِّدَهُم بأنَّ أنفُسَهُمْ وأمـوالَهُم وعِيالَهُم سَيكـونُون في خطرٍ. وهكذَا بينَ وَعْدٍ وَوعيدٍ استَمَـالَ الكثيرينَ مِنهمْ، وزَجَّهم لِقتَالِ ابنِ بِنتِ رسولِ اللهِ. إنَّهمْ حقّـاً ضِعافُ النُّفـوسِ والإيمـانِ، يَتقبَّـلونَ أكـاذيبَ ابـنِ زيـادٍ، ويخرُجونَ لِقتَالِ إمامِهم حَفيـدِ نَبيِّهم. إنَّهُ ذاكَ الـطِّرازُ منَ التَّفكيرِ، تَفكيرِ أُنـاسٍ خُيِّرُوا بينَ الحقِّ والبـاطلِ، فاخْتارُوا البَاطلَ على الحَقِّ.

اللَّيلةُ الأَخيرةُ

وَأخيـراً، حلَّتْ اللَّيلةُ الأَخيـرةُ، ليلةُ العـاشِـرِ منَ المُحرَّمِ، وحينَ طَوتْ الـظُّلمةُ كـلَّ شيءٍ جَمعَ الإمـامُ أصحابَهُ وأهلَ بيتِهِ، وقالَ بعدَ أنْ حَمِدَ اللهَ وأثنى عليهِ: «أمَّـا بَعدُ، فَـإنَّني لا أَعلمُ أَصْحابـاً أَوفى وَلا خيـراً منْ أَصحـابِي، فَجـزَاكُمْ اللهُ جَميعـاً عَنِّي خَيْـراً. أَلا وَإنِّي لأظُنُّ يَومَنا منْ هَؤلاءِ الأَعداءِ غَداً، وإنِّي قدْ أَذِنْتُ لكمْ جَميعاً، فانْطَلِقُوا في حِلٍّ ليسَ عَليكُمْ مِنِّي ذِمَامٌ، وهَذا اللَّيـلُ قَدْ غَشِيَكُمْ فـاتَّخِذوهُ جَمـلاً.. فـإنَّ القـومَ إنَّمـا يَطلُبونَني، ولوْ أَصَابُوني لَهَوْا عَنْ طَلبِ غَيرِي».

يَا لَروعةَ الكرامةِ الإنسانيَّةِ! لقد أوضحَ الإمامُ لهمْ كُلَّ شيءٍ، وحَدَّدَ لَهمْ مَصيرَهُم وهوَ القتلُ، لِيكُونُوا على بَيِّنةٍ منْ أمرِهمْ، ورَغِبَ أنْ يَنصَرِفُوا تحتَ جُنْحِ الظَّلامِ، فَيكونَ لهمْ سِتَاراً، كَما أنَّ الظَّلامَ يُخفي خَجَلَهُمْ إنْ همْ رَغِبُوا في فِراقِهِ.

لكنَّه لم يكدْ يَفرَغُ منْ كلامِهِ، حتَّى هَبَّتْ الصَّفْوةُ الطَّيِّبَةُ منْ أهلِ بيتِهِ يَتقدَّمُهُمْ أخوهُ العَبَّاسُ قائلينَ: «لِمَ نَفْعَلُ ذَلكَ؟ لِنبقى بَعدَكَ؟! لا أَرَانا اللهُ ذَلِكَ أَبَداً».

وتَبِعَهُم خِيرَةُ أَصحابِ الحُسينِ، أمثالَ حبيبِ بنِ مُظاهِرٍ، ومُسلمِ بنِ عَوْسَجَةَ، وزُهَيْرِ بنِ القَيْنِ وغَيرِهِمْ، وأعلَنُوا تَرحيبَهُم بالمَوتِ في سَبيلِهِ. وحينَ أكَّدَ لَهمْ أنَّهمْ سَيُلاقُونَ حَتفَهم هَتَفُوا جَميعاً: الحمدُ للهِ الَّذي أكْرَمَنا بِنَصْرِكَ، وشَرَّفَنا بِالقَتْلِ مَعَكَ.

لقد أشرقَتْ نُفُوسُهمْ بِنورِ الإيمانِ، وكانُوا من خِيرةِ الرِّجالِ صِدقاً وَوَفاءً.

في هذهِ اللَّيلةِ، وفي قَلبِ كَربلاءَ؛ في الخِيامِ الَّتي تَسمعُ منها هَمَسَاتُ الشَّوقِ إلى الشَّهادةِ، وقَفَ الإمامُ الحُسينُ عليهِ السَّلامُ بينَ صفوةِ أهلِه وخِيرةِ أصحابِه يُحدِّثُهمْ فيُحسّونَ بالسَّكينَةِ تتَنزَّلُ على

قُلوبِهِم، ويَشعرُونَ بِنُفوسِهِم خَفيفَـةً شَفَّافَـةً تَكاد تـطيرُ شَـوقاً إلى الشَّهـادةِ، وَبِقلوبِهِم تهفُـو إِلَى لِقَـاءِ رَبِّهِمْ، فَيبُثُّـونَ إليه نَجـوَاهُم وبَـوْحَ قُلوبِهِمْ. ويَتَـوجَّهـونَ إليـهِ بـالتِماسِ العَفـوِ والغُفـرانِ يَقـولـونَ: رَبَّنـا اغفِـرْ لَنـا، وَتجـاوَزْ عنْ خَطيئـاتِنا، واجْعـلْ لَنـا مكـانـاً في جَنَّتِـكَ واحْشُرنا معَ الطَّيِّبينَ الطَّاهِرينَ منْ صَفوةِ خَلقِكَ. رَبَّنـا وتَفضَّلْ بِقبولِ هَذِهِ القَرَابينَ منْ أهلِ بَيتِ نَبِيِّكَ، رَبَّنـا وأَسْمِـعْ صَوتَنـا ونِداءَنـا إلى خَلقِكَ، رَبَّنـا واجْعَـل منْ مَوطِنِ قِربَانِنا هَـذا مِيعَاداً لِعَبيـدِكَ، رَبَّنا وأَرِنَـا مَناسِكَنـا وتُبْ عَليْنا يا رَبَّ العالَمينَ.

أمَّا في المُعسْكَرِ الآخَرِ، فكَانَتْ أصـواتُ الطُّبـولِ والمَزَاميرِ تُمزِّقُ بِصَخَبِها سُكـونَ اللَّيلِ وهُـدوءَهُ، بَينَما انْصَـرَفَ اليَـزيـدِيُّـونَ إلى الأكـلِ والشُّـربِ كـالبَهَـائِمِ يَغمُرهُمْ فَرحٌ يَزيدِيٌّ أَثِيمٌ.

يَومُ عَاشُورَاءَ وَالمَوَدَّةُ في القُربى!!

وأطلَّتْ شَمسُ عـاشُوراءَ بِـرأسِهـا منْ وَراءِ الأُفُقِ، وَوَقَـفَ جَيشُ الحقِّ في مُواجَهةِ جَيشِ الباطِلِ، وأعطى عُمَـرُ بنُ سَعْدٍ أوامِـرَه لِجنودِهِ، فَـرَمَـوْا ابنَ رَسـولِ اللهِ



بِسهامِهمْ ونبالِهمْ.

ألَمْ يُصدِرْ قاضِي المدينةِ حُكمَهُ وَيقولُ: هذا الحُسينُ قد خَرجَ منْ أرضِهِ، يَتدخَّلُ في الأُمورِ السِّياسِيَّةِ، ويُفرِّقُ بينَ المُسلمينَ، فَيجبُ أنْ يُقتلَ بِسيفِ الإِسلامِ، حتَّى يَخلُصَ مِنهُ الإِسلامُ!؟

عَجَباً: كَيفَ طَوَّعتْ لَهُ نَفسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ!

وَقُتِلَ الحُسينُ، وَقُتِلَ أهلُ بيتِهِ، وقُتِلَ أَصحابُهُ!

ودِيسَتْ أجْسَادُهُم الكريمةُ بِحوافِرِ الخيلِ، وبأمرٍ منْ ابنِ سَعدٍ!

وَقِيل: تَدخَّلُوا في الأُمورِ السِّياسِيَّةِ!

لا، غَيرُ صَحيحٍ، إنَّها العَدَاوةُ المكشُوفَةُ للهِ ولِرسُولِه ولِلإِسلامِ ولِلقرآنِ، إنَّه الحقدُ الكامِنُ في النُّفوسِ السَّوداءِ!

وبَعدُ.. فَفي الوقتِ الذي تَركُنُ فيه المخلوقاتُ إلى بُيوتِها وأوْكارِها تَنْشُدُ الرَّاحةَ، كانَ أهلُ بيتِ الرَّسولِ، نِساؤُه وأَطفالُه، يَرسُفونَ بِالأغلالِ، ويُطافُ بهم من مَكانٍ إلى آخرَ. وفي الوقتِ الَّذي كانَ اسمُ اللهِ واسْمُ رسولِه يَرتفعُ فوقَ المآذِنِ، كانَ أهلُ بيتِ

الرَّسولِ يُقاسُون الأَذى والمـذَلَّةَ والهَـوانَ. . أَهذه هيَ المَودَّةُ في القُربَى ؟! إنّا للهِ وإنّا إليهِ راجِعونَ.

راحَ جنـودُ ابنِ سَعدٍ يَـدوسُونَ الأجسـادَ الـطَّاهـرة بِسَنابـكِ الخيـلِ ، حتى شَفَـوْا غَليلَهمْ ونَفَثـوا سُمـومَ حِقـدِهم، ثمّ التَفَتُـوا إلى نِسـاءِ الحُسينِ وأطفـالِـهِ يَسـوقونَهم أسـرى مكبَّلينَ إلى الكوفَـةِ. والكوفـةُ كانتْ مَقـرَّ عليٍّ أميـرِ المؤمنينَ. والكُـلُّ يعـرفُ ابنَتَـهُ العقيلة زَينبَ، لَكَمْ رَأَوْها في بيتِ أَبيها، ولَكَمْ حَضَـرتْ نِسَاءُ الكوفَةِ مَجالِسَها واسْتَمعْنَ إلى مَوَاعِظِهَـا، وها هِيَ الآنَ أمـامَهُمْ تَتقَدَّمُ الأَسيـراتِ مِنَ النسـاءِ والأطفـالِ ، فـأينَ يُـوارُونَ خَجَلَهُمْ؟ إنَّ أصواتَهم الَّتي اخْتَنَقَتْ بِـالبُكـاءِ. وأَلسِنَتَهمْ الَّتي لَهجَتْ باللَّعنِ على ابنِ سعدٍ، لنْ تكْفِيَ لغَسلِ ذُنوبِهم، ولَنْ تَغْفِرَ لهم تَقَاعُسَهمْ، وَهذِهِ كَلماتُ العَقيلةِ تَتسَـاقَطُ كـالسِّيـاطِ عـلى جُلودِهـمْ عَلَّهـا تُوقِظُ القُلوبَ النَّائمةَ، وتُحَرِّكُ النُّفوسَ الغافِلةَ.

فِي الشَّامِ

سِيقَ الأسْرى بعدَ أيامٍ إلى الشَّامِ ، والشَّـامُ كانَتْ في عِيدٍ، أليستْ تَحْتَفِلُ بانْتِصارِ يَزيدَ؟! هَا هُوَ يَستقبِـلُ رأسَ عَـدُوِّهِ؛ رأسَ الحسينِ حَفيدِ رَسـولِ اللهِ، يَغمُـره



الفرحُ. ويَملأُ الفَخرُ أعطافَهُ، راحَ يَستَرجِعُ أمجادَ آبائِه ومآثِرَهُم، ويَزْهُو بِها ثم يَقولُ:

لَعِبَتْ هاشِمُ بِالمُلْكِ فَلا خَبرٌ جَاءَ وَلا وَحْيٌ نَزَلْ!!

إنَّها آدابُ اليَزيدِيِّينَ!

وَفِي الشَّامِ، اسْتطاعَ الإمامُ زَينُ العَابِدينَ (ع) أَنْ يَتحدَّثَ إلى النَّاسِ، ويُوقِظَهمْ منْ غَفلَتِهمْ، ويَبسُطُ لهمْ الحَقائِقَ، فَهوَ وأَبُوه الإمامُ الشَّهيدُ وأهلُهُ لَيْسُوا منَ الخوارجِ العصاةِ كَما قِيلَ لِلنَّاسِ، وَهمْ لَيسوا منْ أَعداءِ الإِسلامِ والقُرآنِ كما اتُّهِمُوا زُوراً وبُهتاناً، وكانَ مِمَّا قالَهُ عليهِ السَّلامُ:

«.. فَمنْ عَرَفَني فَقد عَرَفَني، ومنْ لَمْ يَعْرِفْني أَنْبَأْتُهُ بِحَسَبِي ونَسَبِي.. أَنا ابنُ مُحمَّدٍ المُصطَفى.. أَنا ابنُ عليٍّ المُرتَضَى.. أَنا ابنُ فَاطِمَةَ الزَّهراءِ، أَنا ابنُ سَيِّدةِ النساءِ.. أَنا ابنُ المُزَمَّلِ بِالدِّماءِ.. أَنا ابنُ ذَبِيحِ كَربَلاءَ..» ولمْ يزلْ يقولُ أَنا، حتَّى ضَجَّ النَّاسُ بِالبُكاءِ. وَتَركَتْ صَرخةُ الإمامِ المُدَوِّيَةُ، أهلَ الشَّامِ في ذُهولٍ، إذَنْ فَهؤُلاءِ أهلُ بَيتِ النَّبي!؟ وقامَتْ في الشَّامِ بَوادِرُ ثَورَةٍ هَوْجاءَ، بعدَ أن عَرَفَ النَّاسُ الحقيقةَ. ثَورةٌ تَدارَكَها يَزيدُ بِإبعادِ الأَسرى والرؤُوسِ عنِ الشَّام.

ثُمَّ حظَر على النَّاس مُجرَّدَ التَّفوُّهِ باسْمِ الحُسينِ، وكُلُّ منْ أتى على ذِكْرِ الحُسينِ كانَ مَصيرَه السِّجنُ أو القتلُ.

الشَّهادَةُ والثَّورَةُ

كانَ أوَّلَ من أتى على ذكرِ الحُسينِ (ع) هُوَ الصَّحابيُّ الجَليلُ جابرُ بنُ عبدِ اللهِ الأنصاريُّ، فَقد زارَ قبرَ سَيِّدِ الشُّهداءِ، وهُناكَ ذَرفَ دُموعاً سَخينَةً صَادِقَةً. وانقلبَتْ تِلكَ الدُّموعُ عَاصِفةً على مَرِّ التَّاريخِ. كانَ الَّذينَ يَجهَلونَ قَدْرَ هَذهِ الدُّموعِ، يُردِّدونَ أقوالَ اليَزيدِيِّينَ، في ذَمِّها وذَمِّ صاحبِها.

ولكنْ.. في آتِي الأيَّامِ، سَيتَّجِهُ عُشَّاقُ دَربِ الحُسينِ نحوَ كَربلاءَ، حيثُ يَذرِفُونَ الدُّموعَ، ويُؤدُّونَ مَناسِكَ الشَّهادَةِ، ويَصونُونَ دمَ الحُسينِ حيًّا مُشتعِلاً بالثَّورةِ، ويَصونُون درسَ الشَّهادةِ نَاطِقاً للأجيالِ القادِمةِ، فلا يَنسى النَّاسُ ثَورةَ أَبِي الثُّوارِ الحُسينِ عَليهِ السَّلامُ، عَلى الظُّلمِ والظَّالمينَ..

لِهذَا، وَلهذَا وحدَهُ كانَ بَنو أُميَّةَ وبنو العَبَّاسِ يَحظُرونَ زِيارةَ قَبرِ الحسينِ (ع) وقُبورِ الشُّهداءِ


سيد الشهداء

الآخَـرينَ. وَلكـنْ. . فَـرُغمـاً عـنْ سعـيِ الأعـداءِ والأُجَراءِ، فقدْ ارتفعَ على أرضِ كَربلاءَ صَرحٌ عظيمٌ، وأُقيمتْ على تُربةِ الشُّهداءِ بُيوتٌ خَالِدَةٌ لِلعبَـادَةِ، وبقيَ نـورُ الشَّهـادةِ مُشِعًّـا عَلى مَـدى الأَزمَـانِ، وَبقيَ عهـدُ الشَّهادَةِ نَشيداً يتردَّدُ في الأَسْماعِ .

وفي الخِتـامِ : فقد علَّمَنا الحسينُ أنَّ الـدَّمَ يَقهـرُ السَّيفَ بـإرادةِ الشَّهـادةِ، حينَ اسْتُشهِـدَ في سبيـلِ اللهِ والإسلامِ .

وعلَّمنا أنَّ الحياةَ بالقَهرِ والذُّلِّ هيَ الموتُ بِعَينِـه، حينَ أَبى أنْ يُعطيَ بيدِه إعطَاءَ الذَّليلِ .

وَعَلَّمَنا كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَليلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كثيرةً بإذْنِ اللهِ، حِينَ غَلبَ بِمواقِفِه وَمَبادِئِه جُموعَ الطُّغاةِ.

فـالحُسينُ مَدرسـةٌ لِكُلِّ المسْتَضْعَفِينَ في ثَـورتِهمّ عَلى المُسْتَكْبِرينَ.

والحُسينُ إمـامٌ لِكـلِّ العـامِلينَ على إقـامـةِ حُكمِ الحقِّ والإسلامِ .

والحسينُ هُـوَ من قالَ عنـهُ جَدُّهُ رسـولُ اللهِ : سَيِّدُ شَبابِ أَهْلِ الجَنَّةِ.

وَصَدَقَ رَسُولُ اللهِ .